

نبذة عطرة

من حياة سيِّدة نساء العالمين

عليها السلام

فاطمة الزهراء

الشيخ زكريا بركات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نبذة عطرة من حياة سيِّدة نساء العالمين
فاطمة الزهراء سلام الله عليها

الشيخ زكريا بركات

كل الحقوق
محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٣٩هـ / ٢٠١٧م



مركز البحوث والدراسات الإسلامية
CENTER FOR RESEARCH & ISLAMIC STUDIES

www.isrcyemen.org
info@isrcyemen.org

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَبَعْدُ:

فَقَدْ بَعَثَ اللَّهُ النَّبِيَّ الْأَكْرَمَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)
لِكَيْ يُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَيَهْدِيَهُمْ إِلَى الصِّرَاطِ
الْمُسْتَقِيمِ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) هُوَ الْمُرَبِّيُّ وَالْمُعَلِّمُ، وَكَانَ
أَفْضَلَ الْمُرَبِّينَ وَالْمُعَلِّمِينَ؛ لِأَنَّهُ صَاحِبُ الْخُلُقِ الْعَظِيمِ الَّذِي
شَهِدَ لَهُ اللَّهُ (تَعَالَى) بِذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى
خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

وَبِسَبَبِ أَنَّ الْمَدْرَسَةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ كَانَتْ هِيَ الْأَفْضَلَ وَالْأَسْمَى
عَلَى الْإِطْلَاقِ طَوَالَ التَّارِيخِ الْبَشَرِيِّ؛ فَإِنَّ الَّذِينَ تَخَرَّجُوا بِنَجَاحٍ
مِنْ هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ كَانُوا هُمْ الْأَفْضَلَ وَالْأَسْمَى أَيْضاً.. وَقَدْ تَخَرَّجَ
مِنْهَا أَنْاسٌ عَظَمَاءُ، وَكَانَ لِلْمَرْأَةِ الْمُؤْمِنَةِ الصَّالِحَةِ نَصِيبٌ وَافِرٌ

في هذا النجاح والسمو.. وكانت السيِّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بنتُ النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) هي الأفضل على الإطلاق من بين نساء العالم؛ لأنَّها تربَّتْ على يَدَي والدها واقتبست من أخلاقه العظيمة.



لمحة تعريفية

اسمها: فاطمة.

أبوها: خير خلق الله من الأوَّلين والآخريين، ورسول الله رحمةً للعالمين: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم (صلى الله عليه وآله وسلم).

أمُّها: أمُّ المؤمنين خديجة بنت خويلد صلوات الله عليها، وكانت أوَّل زوجة لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولم يتزوَّج عليها امرأة حتى تُوفِّيت، وكانت أحبَّ زوجات رسول

الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى قلبه. وكانت تُدعى في الجاهلية: «الطاهرة».

ولادتها: ٢٠ من جمادى الثانية، بعد سنتين من البعثة النبويّة المباركة، في مكّة المكرّمة، وقيل في تاريخ مولدها غير ذلك.

ألقابها: الزهراء، الصديّقة، المباركة، الطاهرة، الزكيّة، الراضية، المرّضية، المحدثّة، البتول.

كُناها: أمّ الحسن، وأمّ الحسين، وأمّ المحسن، وأمّ الأئمّة، وأمّ أبيها.

وقد قيل في سبب تسميتها بـ «أمّ أبيها»: أنّها (سلام الله عليها) كانت - منذ طفولتها - ترعى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كما ترعى الأمّ ولدها بكلّ عطف وتفانٍ.. وربّما كانت في هذه الكنية دلالة أخرى تكمن في تقدير النبي (ص) لها واحترامه إياها كما يحترم الابن أمّه ويقدرها.

الوفاة: اختلفت أقوال المؤرّخين في تحديد تاريخ وفاتها عليها السلام، واختار بعض العلماء المحقّقين أنّها تُوفيت في ٣ جمادى الثانية سنة ١١ هـ، وذلك في المدينة المنورة.

موضع قبرها: هناك اختلافٌ في موضع قبرها سلام الله عليها؛ وذلك بسبب أن زوجها الإمام علياً (عليه السلام) دفنها في الليل سرّاً وأخفى موضع قبرها احتجاجاً وتعبيراً عن أنّها ماتت مظلومةً غاضبةً على من تسبّب في ظلّمها. فثمّة قولٌ أنّ قبرها بالبقيع، وقولٌ ثانٍ أنّه في الرّوضة، وثالثٌ أنّه في بيتها.

عمرها عند الوفاة: قرابة ٢٢ عاماً. وسبب وفاتها في هذا السنّ هو الظلم الذي قاست منه والآلام التي ذاقت مرارتها بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).



منزلة السيدة فاطمة عليها السلام

من الآيات القرآنية التي تحدّثت عن السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام): آية التطهير، وهي قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾

[الأحزاب: ٣٣] ؛ فالزهراء (عليها السلام) هي من أهل البيت الذين أراد الله تطهيرهم، وهذه هي الإرادة الإلهية التي لا يعيقُ تحققها شيء؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] .

وهذا التطهير هو تطهيرٌ معنويٌّ روحيٌّ؛ أي إنَّ عقل السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) طاهرٌ من أدران الأفكار السيئة، وقلبها طاهرٌ من شوائب الشكوك والريبة، وأحاسيسها طاهرةٌ من الحقد والكراهية المقيتة.. وحين تكون المرأة بهذا المستوى من الطهارة والنقاء الباطني؛ تكون هي الأفضل والأسمى والأقرب إلى الله تعالى.

كثيرٌ من الفتيات والنساء يخرُصنَ على الجمال الظاهري، ويُباليغنَ في الاهتمام بزينتتهنَّ في المظهر واللباس، ولكنَّهنَّ يَغفلنَ عن الاهتمام بالجمال الباطني.. فالجمال الحقيقي هو جمال العقل والقلب والروح، والذي يتجلَّى في استقامة الفكر وسلامة المشاعر وجمال الأخلاق.. هذا هو الجمال الحقيقي الذي على الفتاة والمرأة أن تهتمَّ به أكثر من اهتمامها بالجمال الظاهري؛

لأنَّ الجمال الباطني هو معيار التفوق والكرامة عند الله تبارك وتعالى.

وحين يكون الإنسان نقيّاً طاهراً في عقله وقلبه وروحه؛ فإنَّه يصبح مؤهلاً ليختاره الله (تعالى) ويصطفيه، فالاصطفاء معناه الاختيار والانتقاء على أساس المؤهلات والصفات التي يتحلَّى بها الإنسان.. وقد جعل الله (تعالى) كتابه (القرآن الكريم) ميراثاً للمُصطفين من هذه الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا...﴾ [فاطر: ٣٢].

ولمَّا كانت السيِّدة الزهراء (عليها السلام) مُطَهَّرَةً - عقلاً وقلباً وروحاً - فلا ريب أنَّها في رأس قائمة المُصطفين الذين اختارهم الله (تعالى) ليختصَّهم بعلم القرآن الكريم، وهذا الأمر - أي إنَّها من المُصطفين - لا خلاف فيه بين أهل العلم..

فالزهراء سلام الله عليها، وبإجماع الأمة الإسلامية، هي من أولئك المطهَّرين الذين نزلت في شأنهم آية التطهير، وهي

- بإجماع المسلمين أيضاً - من الذين اصطفاهم الله فأورثهم القرآن الكريم بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم.

ومن هنا نفهم السبب الذي جعل السيّدة الزهراء (عليها السلام) تقترن بالسيّدة مريم (عليها السلام) وتُصاهيها في مجال الخيريّة والكرامة عند الله تعالى؛ ففي كتاب «فضائل الصحابة» لأحمد بن حنبل برقم (١٣٣٩) - بسند صحيح - عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّه قال: «أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنتُ خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم ابنة عمران، وآسية امرأة فرعون».

وفي كتاب «المستدرک على الصحيحين» للحاكم ٣: ١٧٠، أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لفاطمة (عليها السلام): «يا فاطمة؛ ألا ترضين أن تكوني سيّدة نساء العالمين، وسيّدة نساء هذه الأمّة، وسيّدة نساء المؤمنين». قال الحاكم: «هذا إسناده صحيح ولم يخرجاه». وقال الحافظ الذهبي: «صحيح».

وحتىّ نفهم قيمة هذا الاقتران؛ علينا أن نستذكر الآية القرآنيّة التي تحدّثت عن مريم عليها السلام، حيث قال الله

تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ
وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران / ٤٢].



السيدة فاطمة (عليها السلام) معدن الصدق

«الصدق» كلمة لا يعرف قيمتها وعمق معناها وأهميتها
الالتزام بها إلا من أبحر في نور القرآن الكريم والسنة الشريفة
وخاض تجارب الحياة.. فالصدق هو مظهر مهم جداً من
مظاهر الاستقامة والتقوى.. ولما كانت السيدة الزهراء كاملة
الطهارة بتطهير الله تعالى؛ فهي في أعلى مراتب الصدق..

وفي هذا السياق تقول السيدة عائشة زوجة رسول الله
(صلى الله عليه وآله وسلم) - متحدثة عن السيدة فاطمة
الزهراء عليها السلام - : «ما رأيت أحداً أصدق لهجةً منها،
إلا أن يكون الذي وكدها». قال الحاكم في كتاب «المستدرک»:
«هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه». وقال
الحافظ الذهبي في كتاب «التلخيص»: «على شرط مسلم».

ولذا قال الإمام موسى الكاظم - وهو من أئمة أهل البيت عليهم السلام - مُتحدِّثاً عن السيِّدة فاطمة الزهراء: «إِنَّ فَاطِمَةَ (عليها السلام) صَدِيقَةٌ شَهِيدَةٌ». رُوي ذلك في كتاب «الكافي» ١: ٤٥٨، وسنده صحيح.

علماً أنَّ وصف «الصدِّيقة» ورد في القرآن الكريم في حقِّ مريم عليها السلام؛ حيث قال الله تعالى - مُتحدِّثاً عن عيسى عليه السلام -: ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: ٧٥]. وهذا العنوان أيضاً من مؤشِّرات مُضاهاة السيِّدة الزهراء للسيِّدة مريم عليهما الصلاة والسلام.

وقد شهدت السيِّدة عائشة لسيِّدتها وسيِّدتنا الزهراء (عليها السلام) بنفس المُفاد في مناسبة أُخرى بعبارة أكثر تفصيلاً، حيث قالت - فيما رواه الحاكم في «المستدرک» ٣: ١٦٧:

«مارأيت أحداً كان أشبه كلاماً وحديثاً من فاطمة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكانت إذا دخلت عليه رحَّب بها، وقام إليها، فأخذ بيدها فقبلها، وأجلسها في مجلسه». قال

الحاكم النيسابوري: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه». وقال الذهبي في «التلخيص»: «صحيح».

إنَّه من الطبيعي أن تقوم البنت لأبيها، فتوقِّره هذا التوقير، وتُؤليه هذا الاحترام والتقدير.. وأمَّا أن يكون الأب، وهو سيّد الخلق أجمعين، وخاتم الأنبياء والمرسلين، يفعل هذا مع ابنته.. وهو لا يقوم لها فحسب، بل يقوم إليها؛ أي يذهب إليها قبل أن تقدم عليه، ثم يجلسها في مجلسه.. فهذا ما يستوقفُ كلَّ لبيب؛ ليفكِّر في دلالات هذا السلوك من سيّد الأنبياء والمرسلين، الذي لم يُروَ في التاريخ أن النبي - صلى الله عليه وآله - فعله مع أحد من الناس مهما بلغت منزلته..



رضا السيدة فاطمة هو الدليل على رضا الله تعالى

إنَّ الاستقامة تتحقَّق بموافقة العبد لمولاه (تبارك وتعالى) في كلِّ ما يُحِبُّ ويرضى، فلو أن عبداً استطاع أن يصل إلى هذه المنزلة من الاستقامة، فقد بلغ مرتبة عظيمة من القُرب.. ولكنَّ

السيدة الزهراء (عليها السلام) فاقت هذه المنزلة أيضاً، فاجتازتها إلى منزلة أسمى؛ فقد حققت الموافقة لرضا الله تعالى في كل ما تفعل وتترك، ثم بلغت منزلة تنقطع دونها الهمم، ولا تتم لعبد إلا بلطفٍ خاصٍّ من الله تعالى، وهي المنزلة التي عبّر عنها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في قوله لابنته فاطمة: «إنَّ الله يغضب لغضبك، ويرضى لرضاك». رواه الطبراني في «المعجم الكبير» ١ : ١٠٨ ، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٩ : ٢٠٣ : «إسناده حسن».

فقد تجاوزت فاطمة الزهراء (عليها السلام) منزلة أن تلتزم برضا الله تعالى، وبلغت إلى مرتبة أرفع، وهي أن يكون رضاها وسخطها معياراً لمعرفة رضا الله (عز وجل) وسخطه.

وهذا معناه أن رضا فاطمة (ع) يعبر عن رضا الله تعالى، وغضبها يعبر عن غضب الله تعالى.. وهذا يدل على أن السيدة الزهراء (ع) معصومة حتى على مستوى المشاعر والأحاسيس؛ وإلا لو كان هناك أدنى خلل في مشاعرها وأحاسيسها، لما كان رضاها وغضبها معبراً عن رضا الله (تعالى) وغضبه.. وهذا

في الحقيقة نتيجة لكونها طاهرة مطهّرة نقيّة في عقلها وقلبها وروحها كما أفادت آية التطهير [الأحزاب: ٣٣].



قصة المباهلة

حين لم يقبل نصارى «نجران» أن يتراجعوا عن دينهم المنحرف وأصرُّوا على البقاء على فكرهم الخاطيء؛ نزل قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١].

فأخذ النبيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم) الحسنَ والحسينَ والسيدةَ فاطمةَ والإمامَ عليًّا عليهم السلام.. ولم يأخذ معه أحداً غيرهم.. وهذا معناه أنَّ الحسين (عليهما السلام) هما خلاصة الأبناء، وأنَّ السيدةَ فاطمةَ الزهراء (عليها السلام) هي خلاصة النساء، وأنَّ الإمامَ عليًّا (عليه السلام) هو خلاصة

الأنفس، بل هو من النبي (ص) كنفسه. وقد قال النبي (ص) حين اصطحبهم: «اللَّهُمَّ هؤُلاءِ أهلي»، رواه مُسلم في «صحيحه».

فكانت هذه رسالة واضحة من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) للتاريخ أن هؤُلاءِ هم النُخبة التي تلخّص الأُمَّة كلّها، وبخروجهم يتحقّق الهدف وتحصل الغاية، ولا حاجة في غيرهم؛ فغيرهم لا يحمل الصفات التي تؤهّله لهذا الدور.. فهؤُلاءِ الخمسة هم أهل الكساء الذين طهّرهم الله تعالى؛ إنهم أهل بيت النبوة.. ليست المسألة قرابة من شخص النبي (ص) فحسب، بل هي قرابة من خط النبوة بكلّ عظمتها، أي إنّ هؤُلاءِ العظماء ذوو ارتباط واندماج كامل - قلباً وقالباً - بأهداف الرسالة المحمّدية، ليس هناك أدنى افتراق أو فجوة بين نفوسهم وبين المبادئ والقيم السامية التي جاءت النبوة الخاتمة لتحقيقها.. وهذه هي الأهلية التي لم توجد في غير عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

فكانت الزهراء (عليها السلام) خلاصة (النساء)؛ وهذه رسالة مفادها أنّ السيّدة الزهراء (عليها السلام) هي التي يلزم

أن تكون الكعبة المعنوية التي تقصدها وتطوف حولها قلوبُ النساء في كلِّ مكان وزمان.. فهي البوصلة التي تحدّد المسار الصحيح للمرأة.. وهي المحور الذي حين تدور في مداره المرأة فإنّها تمنح لحياتها معنىً وقيمة عند خالقها تبارك وتعالى..

وينقل إمامُ أهل السنّة الشهير في علم التفسير المعروف بـ«الفخر الرازي» في «تفسيره» أنّ النصارى خافوا من الهلاك حين رأوا نورانيةً الوجوه التي خرجت للمباهلة..!

وهذا معناه أنّ إدراك نورانية أهل البيت (عليهم السلام) لا يتطلّب كثيراً من العناء، فحتى الكفّار يُمكنهم الإحساس بتلك النورانية والعظمة.. فكيف بالمسلم إذا أخلص النيّة والتمس طريق أهل البيت (ع).. فمنهج أهل البيت (ع) هي الطريقة المثلى بإجماع الأمة الإسلامية.

فإذا أرادت الأمة الإسلامية أن تخرُج من الظلمات إلى النور، وتذوق طعم الفرج والأمن والراحة؛ فعليها أن ترجع إلى أهل البيت (عليهم السلام) وتلتزم طريقتهم.. فالله (تعالى)

يقول: ﴿وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾
[الجن/١٦].

فحين ابتعد الناس - عمداً أو جهلاً - عن الطاهرين
المطهرين، والتمسوا الهدى في الاتجاهات أُخرى؛ حُرِّموا من
النُّورانية والرُّوحانية والفرج.. والله المُستعان.



السيدة زينب (ع) بنت السيدة فاطمة الزهراء (ع)

حين تكون الأمُّ عظيمةً بمستوى عظمة السيدة فاطمة
الزهراء (عليها السلام)، فمن الطبيعي أن يكون أبنؤها عظماء..
وهكذا كان. فالإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) والإمام
الحسين الشهيد بكربلاء (عليه السلام) هما سيِّدا شباب أهل
الجنة، وهما ابنا السيدة فاطمة الزهراء (ع) .. وكانت زينب
أيضاً بنتَ السيدة الزهراء (ع) ، وشاءت الأقدار أن تكون
السيدة زينب (ع) رفيقةً درب الجهاد مع أخيها الحسين (ع)؛
فحضرت معه في كلِّ مواقفه الجهادية والبطولية، حتَّى مضى

الإمام الحسين (عليه السلام) مظلوماً شهيداً في «كربلاء» يوم عاشوراء (شهر المحرم) من سنة ٦١ هـ، وذلك من قبل جيش بني أمية الذي كان يتحرك بأوامر يزيد بن معاوية وأمرائه المجرمين.

فألقيت المسؤولية العظيمة على السيدة زينب (عليها السلام) إذ توجب عليها أن تحفظ الأطفال والنساء ومن بقي في القافلة المنهوبة المنكوبة؛ نظراً إلى أن الإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليهما السلام) كان طريح الفراش يقاسي المرض الشديد.. فتحملت السيدة زينب (ع) المسؤولية وقادت القافلة في مسير الرجوع.. لقد كانت مهمة شاقّة جداً، ولكن ابنة السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) اتّصفت - كماؤها - بالصبر والشجاعة والفصاحة والثبات، فلم تستطع تلك المصائب العظيمة أن تنتقص من إيمانها أو تزعزع موقفها وثباتها..

وقد ألت السيدة زينب (عليها السلام) في مسير الرجوع خطباً في قصور الظالمين - حيث أخذوا أهل البيت أسرى - وتكلّمت بكلمات شجاعة هزّت عروش الظالمين وجعلتهم

يشعرون بحقارة أنفسهم أمام شموخ العزة الزينيّة الموروثة من سيّدة نساء العالمين.. فذكّرت الناس بخطبة أمّها السيّدة فاطمة (عليها السلام) التي ألقتها بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في المسجد النبوي الشريف مُطالبَةً بحقّها وداعيّةً الأُمّة للرجوع إلى أهل البيت عليهم السلام.

لقد قاسى أهل البيت - رجالاً ونساءً - من كثير من الظلم، وذلك بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولكنهم كانوا في أعلى مستويات الثبات والصّدق والحكمة، وسجّلوا أروع الأمثلة، وسطّروا أعظم آيات البطولة والتضحية.. صلوات الله عليهم.



حجاب السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام

الحجاب - في تصوّر كثير من النساء - مجرد ظاهرة عُرْفِيّة، وعند أخريات: قطعة قماش يُغطّى بها الرأس.. ليس إلّا!!

والحقيقة أنَّ الحجاب عنوان عريض يشمل كلَّ معانى الاحتشام والعفة والطهارة.. وبعض مظاهر الحجاب فريضةً توجبها الشريعة الإسلامية؛ صوناً لكرامة المرأة وحفظاً لها من كلِّ سوء، وهو سترٌ ما يجب ستره من بدن المرأة وجمالها الذي لا يجوز أن يظهر لغير محارمها.. بينما بعض مظاهره الأخرى ليست في حدِّ الوجوب، ولكنها تدخل ضمن ما يحسن وينبغي باعتباره كماً لزيادة فضل؛ كتجنب المرأة للكلام من غير داع مع غير المحارم، وتجنبها أن تكون في مكان تتعرض فيه لنظرات غير بريئة من قبل مرضى القلوب من الرجال..

وقد كان النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) هو صاحب الخُلُق العظيم كما شهد الله (تعالى) بذلك له في القرآن الكريم [سورة القلم/ ٤] ، فمنح ابنته السيِّدة فاطمة (ع) من خُلُقهِ العظيم أبهى الخُلُل وأجمل الصفات.. فكانت السيِّدة الزهراء (ع) نموذجاً في منتهى العظمة والجمال للأخلاق، بل كانت مرآة صافية تعكس جمال أخلاق أبيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وأهمُّ مجال تظهر فيه أخلاق المرأة الصالحة هو مجال الحجاب والعفة.. وهكذا كانت سيِّدة نساء العالمين.

ولم ينحصر حجابها في الحدِّ الواجب الذي تفرضه الشريعة الإسلامية، بل كانت السيِّدة فاطمة (سلام الله عليها) تُراعي كلَّ مراتب الحجاب والعقَّة؛ حتَّى غيرَ الواجبة منها.. وقد رُوي عنها (ع) في هذا المجال أنها قالت عن المرأة: «أدنى ما تكون من ربِّها أن تلزم قَعَرَ بيتها»، وكذلك رُوي عنها (ع) أنها قالت: «خيرٌ للنِّساءِ أن لا يرينَ الرِّجالَ ولا يراهنَّ الرِّجالُ». ويؤيِّده ما رُوي من أن ابنَ أمِّ مكتوم استأذن للدخول إلى منزل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكان ابنُ أمِّ مكتوم أعمى، وكانت عائشة وحفصة عند النبي (ص) فطلب منهما أن يدخلتا قائلاً لهما: «قوما فادخلا البيت»، فاستغربت عائشة وحفصة من ذلك فقالتا: «إنه أعمى!»، فقال لهما النبي (ص): «إن لم يركما فإنكما تريانه».

وحين تحافظ المرأة على الحجاب في مظاهره المستحسنة المستحبَّة؛ فإنها تكون أقوى على المحافظة عليه في مظهره الواجبة المفروضة..

ومن أهمِّ ما يحاول الشيطان وأولياؤه أن يحقِّقوه: حرمانُ المرأة من عفافها وحشمتها وحيائها، وهذا لا يتمُّ لأعداء الله

(عزَّ وجل) إلا عن طريق التقليل من أهميَّة الحجاب في مظاهره المستحبَّة، ثمَّ إقناع المرأة بعدم لزوم الحجاب - حتى الواجب منه - تحت مبررات مزيفة مثل «الحرية» أو «حقوق المرأة» أو «الانفتاح».. أو غير ذلك من العناوين التي ينخدع ببريقها كثيرٌ من الناس فيحرمون أنفسهم من الكرامة الحقيقية التي لا تحصل للإنسان إلا بطاعة الله تبارك وتعالى.



العمل في المنزل

كانت فاطمة الزهراء (عليها السلام) سيِّدة نساء العالمين، وبنْتُ نبيِّ الأُمَّة وإمامِها (صلوات الله عليه وعلى آله)، وزوجة وصيِّ رسول الله (ص)، ومع ذلك كانت في مُنتهى التواضع والتفاني في خدمة بيتها، فكانت تقوم بكلِّ عملٍ يحسُن من المرأة أن تقوم به في منزلها..

يقول الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) - من أئمة أهل البيت - : « كانت فاطمة - سلام الله عليها - تطحن وتعجن وتخبز»^(١).

وقد رُوِيَ أَنَّ العملَ في المنزل ترك آثاراً على يدي سيّدة نساء العالمين، حيث ظهر التغيُّر على يديها (عليها السلام) بسبب استعمال «الرَّحَى» وهي آلة حجريةٌ مُجهدة كانت تستعمل قديماً لطحن الحبوب.

وفي المروِّي عن الإمام علي (عليه السلام) أنه قال متحدثاً عن زوجته سيّدة نساء العالمين (ع) : «فاسْتَقَّتْ بِالْقِرْبَةِ حَتَّى أَثَّرَ فِي صَدْرِهَا، وَطَحَنَتْ بِالرَّحَى حَتَّى مَجَلَّتْ يَدَاهَا، وَكَسَحَتْ الْبَيْتَ حَتَّى اغْبَرَّتْ ثِيَابُهَا، وَأَوْقَدَتْ تَحْتَ الْقِدْرِ حَتَّى دَكِنَتْ ثِيَابُهَا، فَأَصَابَهَا مِنْ ذَلِكَ ضَرٌّْ شَدِيدٌ»^(٢).

وكان بالإمكان أن يزوّدها أبوها النبيُّ الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) بجارية تخدمها، ولكن الظروف الاقتصادية

(١) الكافي ٥ : ١٦ ، وسنده صحيح.

(٢) من لا يحضره الفقيه ١ : ٣٢٠ .

في تلك الفترة لم تكن تسمح بذلك؛ فقد كان هناك الكثير من الفقراء الذين يحتاجون إلى إغاثة عاجلة، فقرّر النبيّ (ص) أن يزوّدهم بالمساعدة ويوصي ابنته (ع) بالصبر حتى تنفرج الأمور ويتحسنّ الوضع، فكانت السيّدة الزهراء (ع) صبورةً شكورةً.

وكان زوجها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) يساعدها ويحاول أن يتحمّل عنها الأعمال التي تستوجب خروجاً من المنزل، ويساعدها حتّى في بعض أعمال المنزل، وفي هذا يقول الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) : «كان أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - يَحْتَطِبُ وَيَسْتَقِي وَيَكْنُسُ»^(١).

وهكذا كان عليّ وفاطمة (عليهما السلام) نموذجاً للتعاون والتنسيق بين الزوجين في الأعمال..

والعمل في المنزل قد لا يكون فريضةً واجبةً على المرأة من الناحية الشرعية، ولكن الفتاة المؤمنة والمرأة الصالحة تعبر

(١) الكافي ٥ : ٨٦ ، وسنده صحيح.

عن أصالة معدنها من خلال هذا السلوك الذي يندرج تحت الإحسان، والله يحبُّ المحسنين..



من مناقب السيّدة فاطمة (ع) في الحديث الشريف

وفي الختام نستعرض بعض الأحاديث الشريفة التي تحكي جانباً من عظمة السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام:

١ - عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: «نزل ملكٌ من السماء فاستأذن الله أن يسلم عليّ، لم ينزل قبلها، فبشرني أن فاطمة سيّدة نساء أهل الجنة»^(١).

٢ - عن الإمام عليّ (عليه السلام): أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أخذ بيد حسن وحسين (عليهما السلام)

(١) رواه الحاكم في «المستدرک» ٣: ١٦٤ برقم ٤٧٢١، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد»، وقال الذهبي في «التلخيص»: «صحيح».

فقال: «من أحببني وأحب هذين وأباهما وأُمَّهما، كان معي في درجتي يوم القيامة»^(١).

٣ - عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال على المنبر: «إنما فاطمةٌ منِّي؛ يؤذيني ما آذاها، ويريني ما أرابها»^(٢).
والمقصود من عبارة «يريني ما أرابها»: يُزعجني ويُسوؤني ما يُزعجها ويُسوؤها.

وقال المناوي في «إتحاف السائل» (ص ٥٧): «قال السهيلي: إنَّ من سبَّها فقد كفر». وحكى المناوي في المصدر نفسه عن بعضهم: «إنَّ كلَّ من وقع منهم في حقِّ فاطمة (عليها السلام) شيءٌ فتأذَّت به، فالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يتأذَّى به، ولا شيءٌ أعظم من إدخال الأذى عليها من قِبَل وَلَدِها، وهذا

(١) رواه أحمد بن حنبل في «مسنده» ٢ : ٢٥ ، وقال محققه أحمد محمد شاكر: «إسناده حسن».

(٢) رواه ابن شاهين في كتاب «فضائل سيِّدة النساء» برقم (١٨) ، وسنده صحيح على شرط البخاري ومسلم.

عُرِف بالاستقراء: معالجة من تعاطى ذلك بالعقوبة في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد».

وقال الشيخ عباس القمّي (رحمه الله) في «منتهى الآمال»
١ : ٢٦٨ : «لم تبقَ بعد أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) إلاَّ
أياماً قليلة، وكانت دائمة الحُزن والبكاء، وقد لقيت في تلك
الأيام من المصائب والأذى والآلام ما الله عالمٌ به».

٤ - عن أبي هريرة، قال: نظر النبيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى عليٍّ والحسن والحسين وفاطمة، فقال: «أنا حربٌ لمن حاربكم وسلّمٌ لمن سالمكم»^(١).

٥ - عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال لفاطمة (عليها السلام): «أنت أولُ أهلي لحوقاً بي، وأنت رفيقتي في الجنة»^(٢).

(١) رواه أحمد بن حنبل في «مسنده» ٢ : ٤٤٢ . وقد رُوي مثله عن زيد بن أرقم، وأبي سعيد الخدري، وأمّ سلمة، وابن عباس رضي الله عنهم. وهو حديث صحيح على التحقيق.

(٢) رواه ابن شاهين في «فضائل سيدة النساء» برقم (٨) .

٦ - عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال:
 «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من بُطنان العرش: يا أهل
 الموقف؛ غُضُّوا أبصاركم ونكَّسوا رؤوسكم؛ لتجوز فاطمةُ
 بنتُ محمَّد على الصراط»^(١).

٧ - قال السيّد العلامة مجد الدين المؤيدي في «لوامع
 الأنوار»: «وفي محاوراة النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ -
 لفاطمة (ع): (يا فاطمة؛ أنتِ بضعة منِّي، وعليٌّ منِّي بمنزلة
 هارون من موسى، إلَّا أنه لا نبيَّ بعدي؛ يا فاطمة، إنِّي سألت
 الله أن يجعل لي عليًّا وزيراً وخليفةً من بعدي...) الخبر، رواه
 في كتاب إقرار الصحابة لأبي القاسم الجابري».

٨ - عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال:
 «أنا وعليٌّ وفاطمة والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين

(١) رواه سبط ابن الجوزي في «تذكرة الخواص» (ص ٢٦٢)، وقال:
 «أمّا حديثنا فإسناده صحيح، ورجاله ثقة».

حُجِّجَ اللهُ عَلَى خَلْقِهِ، أَعْدَاؤُنَا أَعْدَاءَ اللهِ، وَأَوْلِيَاؤُنَا أَوْلِيَاءَ
الله»^(١).

٩ - عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال:
«فَاطِمَةُ حَوْرَاءُ إِنْسِيَّةٌ، فَكَلَّمَهَا اشْتَقْتُ إِلَى رَائِحَةِ الْجَنَّةِ شَمَمْتُ
رَائِحَةَ ابْنَتِي فَاطِمَةَ»^(٢).

١٠ - عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال
في حديث المعراج: «فَسَمِعْتُ الْجَنَانَ تَنَادِي: وَاشْوَقَاهُ إِلَى عَلِيِّ
وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ»^(٣).



تم بحمد الله تعالى

(١) رواه الصدوق في كتاب «الأمالي» (ص ١٣١ - ١٣٢)، وسنده معتبر على التحقيق.

(٢) رواه الصدوق في كتاب «الأمالي» (ص ٤٦٠)، وسنده صحيح.

(٣) رواه الحميري في «قرب الإسناد» (ص ٤٨)، وسنده صحيح.

